

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

في

سِيرَتِهِ الْأَدَبِيَّةِ

- ٢ -

الدكتور جميل سعيد

جبهه وقيل أنه تقرأ في سير الرجال رجلاً أحب أخاه ، وشهر بحبه له ، كعمر
لأخيه بن الخطاب في حبه لأخيه زيد بن الخطاب . قالوا : وكان زيد اسمر
طوالاً بائن الطول . وكان (١) أسنّ من أخيه عمر . وقد اسلم قبله .
وكان شجاعاً محارباً ، شهد المشاهد (٢) كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وكان عمر يحبه حتى ليحاول ان يفتديه من المكروه بنفسه
قال عمر لأخيه زيد ، يوم احد وهما مع المسلمين يتهيان للترال والحرب وزيد
لادرع معه ، وعمر عنده درعه : « اقسمت عليك إلا لبست درعي » ولم يشأ
زيد ان يرغب بنفسه عن نفس أخيه ، قالوا : « فلبسها ثم نزعها » فقال عمر ،
كالمتعجب من فعلته : مالك ؟ قال زيد : « إني اريد بنفسي ماتريد بنفسك »
ولم يشأ احدهما ان يفضل نفسه على نفس أخيه . قالوا : « ثم تركاها جميعاً (٣) »
وكان القتال . . . وانكشف المسلمون يوم احد ، وصبر زيد مع الصابرين ولم
يهرب . . .

١- صفوة الصفوة لابن الجوزي ١٧٧/١ .

٢- صفوة الصفوة لابن الجوزي ١٧٧/١ .

٣- صفوة الصفوة لابن الجوزي ١٧٧/١ .

وفي حرب اليمامة ؛ حرب المرتدين عن الاسلام ، سيرّ ابو بكر خالد بن الوليد لحرّهم . واشتد القتال ، وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المهاجرين . يقول ابن الأثير (١) « ولم يلق المسلمون حرباً مثلها قطّ وانهمزم المسلمون . . . ثم تداعوا . وثبت زيد بن الخطاب ، وهو يحمل الراية ، فقال : « والله لا اتكلم اليوم حتى نهمهم ، او اقتل فأكلّمه بحجتي . غصّوا ابصاركم ، وعضّوا على اضراسكم أيها الناس ! واضربوا في عدوّكم ، وامضوا قُدُماً . . . » ومضوا وتقدموا ، وقاتل زيد وقتل ثم قُتِل . . . وظلّت الحرب سجالاً ، ثم كتب النصر في آخرها للمسلمين .

ورجع المسلمون الى المدينة ، وجاءت اخبار القتلى مع اخبار النصر . وكان عبد الله بن عمر مع المحاربين العائدين . واستقبله ابوه عمر . وقد يتوهم القارئ ان يفرح ابوه بسلامته ، بعد ان مرّ بنا الحديث عن مكانه في نفس ابيه ، حتى كان يقول : (٢) « مامن شئى ؛ من مال او أهل او ولد ، إلا واحبّ ان اقول عليه إنّنا لله وانّا اليه راجعون ، الا عبد الله بن عمر فإنني احبّ ان يبقى في الناس بعدي » نقول : قد يتوهم القارئ ان اياه سيفرح بمقدمه ، ولكن عمر استقبله بأن صاح في وجهه : « ألا هلكت قبل زيد ! هلك زيد ! وانت حي !؟ الا وارىت وجهك عنى (٣) ؟ ! » ويقول عبد الله محاولاً ان يعتذر عن نفسه ، وان يسرّي عن ابيه : « سأل الله الشهادة فأعطيها ، وجهدت في أن تساق الىّ فلم أعطيها » وينظر عمر الى بعض اصحاب زيد فيتذكّره وتفيض شؤونه ، ويتحدر الدمع من عينيه . قالوا (٤) : « ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجلٌ من بني عديّ بن كعب ، فرجع الى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه ، وقال :

١- الكامل - لابن الأثير : ٢/٢٤٤ طبعة محمد منير الدمشقي بالقاهرة سنة ١٣٤٨ .

٢- ابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب . ص : ١٢٨ .

٣- ابن الأثير - الكامل : ٢/٢٤٦ .

٤- العقد الفريد : ٣/٢٣٥ : وحوادث سنة ١١ هـ في تاريخ ابن الأثير .

وخالفت زيدا ثاويلاً واتيتنى !»

وظل مقتله يحزّ في نفس عمر ، ويتذكّره عند كلّ مصيبة تصيبه ، فيراها هيّةً بالقياس الى مصيبته فيه ، ويقول (١) : «قد أصبّتُ بزید فصبرتُ» ويظلّ يذكره ويقول — وكأنه يسرّي عن نفسه ويصّبرها : «أقصد سبقني بالحسينين ؛ اسلم قبلي واستشهد قبلي» وبلغ من حزنه عليه ان يقول : «ماشاء احدٌ ان يبكيه فذكر زيدا الا فعل» وان يقول : (٢) ما هبّت الصبا من نحو اليمامة الا خيّل اليّ اني اشمّ ريح اخي زيد». وحسبه بهذا حزناً يتجدّد ولا ينقطع . وصار حديث عمر هذا يديره الشعراء في اشعارهم ، يقول المعري في لزومياته :

والقلب يغرى بما تهدي الرياح له كحملها الريح من زيد الى عمر (٣)

واضطبغت نفس عمر عليه بصبغة حزينة ، جعلته يحب ان يسمع اشعار الرثاء يقولها الاخ ينكب بأخيه ، وقد اعجب — رضى الله عنه بمراثي متمم بن نويرة في اخيه مالك بن نويرة ، يقول متمم : (٤) .

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال : اتبكي كلّ قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له : إن الشجايبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك

ويسمع عمر هذا ، فيقول للحطيئة : «هل رأيت او سمعت بأبكي من هذا ؟!»

١- العقد الفريد : ٢٣٥/٣ .

٢- الأغاني : ٣٠٨/١٥ . والخبر في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ، برواية اخرى .

٣- والريح : هنا الرائحة ؛ وفي التنزيل على لسان يعقوب « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» آية : ٩٤ ، سورة يوسف .

٤- مالك ومتمم ابنا نويرة ، للدكتورة ابتسام الصفار : ص : ٣١ و«الاصابة : ٣/٣٤٠ .

ويقول ابو الفرج « (١) ... عن احمد بن عمار العبدي ، قال : حدثني ابي عن جدي ، قال : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح ، فلما انقفل من صلاته ، اذا هو برجل . . . فقال عمر : من هذا ؟ فقالوا : متمم بن نويرة . قال فاستنشهده عمر قوله في اخيه ، فأنشده :

لعمري وما (٢) دهري بتأبين مالك (٣) ولا جزع مما اصاب فأوجعا
لقد كفّن المنهال (٤) تحت ردائه فتى غير مبطان العشيّات أروعا
واستمر متمم ينشد وعمر يستمع ، حتى بلغ الى قوله :

وكنّا كنَدَ مانيّ جديمة (٥) حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأنسى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
واثار الشعر الصور في نفس عمر ، وتذكرّ اخاه زيد بن الخطاب ، فقال :
« هذا والله التأبين ! ولوددت اني أحسن الشعر فأرثي اخي زيدا بمثل ما رثيت به
أخاك » واراد متمم ان يسرّي عن نفس عمر ، فقال : « لو ان اخي مات على
مامات عليه اخوك ما رثيته » فقال عمر (٦) : « ما عزّاني احد عن اخي بمثل ما عزّاني
به متمم ! »

وعمر مثاليّ بعلاقته باصدقائه ؛ لقد اخلص لهم الودّ في حياتهم ،
وحرص عليه الحرص كلّهُ بعد مماتهم . وكان رضى الله عنه يرى في
الصدق نعمة نادرة ، يجدر بمن رزقها ان يحافظ عليها ، ويستمسك بها .
يقول : « اذا اصاب احدكم وداً من اخيه فليستمسك به ، فقائماً يصيب ذلك »
ويرى : « في لقاء الإخوان جلاء الأحزان » (٧) ويقول : « اذا رزقك الله

١- الأغاني ٣٠٨/١٥ .

٢- يقال : ما دهري كذا ، وما دهري بكذا اي ما هو همي وارادتي .

٣- ويروى « بتأبين هالك » الأغاني ؛ ٣٠٨/١٥ .

٤- المنهال : « رجل من بني يربوع ، مر على اشلاء مالك بن نويرة ، لما قتله خالد بن الوليد ، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ، ودفنه » الأغاني : ٣٠٧/١٥ .

٥- حديث جديمة وندمانه في الأغاني : ٣١٢/١٥ - ٣١٥ .

٦- الأغاني : ٣٠٨/١٥ .

٧- عبقرية عمر للعقاد ؛ ص : ٣٢٩ .

مودة امرئ مسلم فتشبت بها ما استطعت (١)». و كان يذكر الصديق من اصدقائه بالليل ، فيقول : «يا طولها من ليلة» ! فاذا صلى الغداة غدا اليه . فاذا لقيه التزمه واعتنقه (٢) .

لقد اخلص عمر الودّ لأصدقائه واخلصوه له في حياتهم ، و كان وفاءه منقطع النظير لهم بعد موتهم ، وكذلك كان حديث من تخلف منهم — بعد موته — عنه . وربما كان الحديث الحسن عن الصديق بعد موته اظهر لما في النفوس الكريمة . فقد يتودّد الرجل للرجل ، ولا سيّما اذا كان ذا حكم او ذا سطوة ، فيظهر له الودّ وهو لا يودّه . قالوا : قال ابن مسعود ، وقد ذكر عمر فبكى حتى ابتل الحصى من دموعه : « (٣) إن عمر كان حصناً حصيناً للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن . » ثم قال : «والله لأحسب العضاه (٤) قد وجدت فقد عمر . والله ! لو اعلم ان عمر كان يحبّ كلباً لأحبيته (٥) » .

ونظر عثمان بن عفان رحمه الله ، الى غير مقبلة ، فقال لأبي ذرّ : «ما كنت تحبّ ان تحمل هذه ؟ » قال ابو ذرّ : «رجالاً مثل عمر ! »

و كان عمر محظوظاً أن قدر له ان ينال الخطوة من صديقين كريمين ، لا تجود الدنيا بمثلهما ، هما صاحباها : رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق ؛ صديقه واخوه

١- ابن الجوري - ص : ١٧٥ .

٢- عبقرية عمر - ص : ٥٢ .

٣- ابن سعد : ٢٧٠/١ .

٤- العضاه بالكسر : اعظم الشجر ؛ او كل شجرة ذات شوك او ما عظم منها وطال «القاموس المحيط»

٥- ابن الجوزي ؛ ص : ٢١١ .

اما الرسول الكريم ، فقد مر بنا انه قال (١) : «اللهم اعز الإسلام
عمر بأحب الرجلين اليك ، عمر بن الخطاب او ابي جهل ابن هشام» ،
والرسول ورووا عنه صلوات الله عليه ، قوله : «اللهم اشدد الدين بعمر . وحسبك
بهذا قولاً يدعو به الرسول الكريم ربّه ، وحسبك به مكانة لعمر عند الرسول
الكريم . هذا كله وعمر ما يزال في جاهليته وشره .

وآمن عمر . . . وكان الرسول الكريم يتحدث عن الثلاثة ، حديثه عن الشخص
الواحد وعن النفس الواحدة . وفي صحيح (٢) مسلم يتحدث الرسول الكريم
احاديث للناس يسمعونها ، فيقولون : «سبحان الله !» تعجباً وفزعاً ، ويرد الرسول الكريم
عليهم بقوله : «إني أؤمن به وابو بكر وعمر» ويقول : «إني أؤمن بذلك ؛ انا وابو بكر
وعمر» .

وفي صحيح مسلم ايضاً (٣) . . . سمعت ابن عباس يقول : وُضِعَ عمر
ابن الخطاب على سريره ، فتكنفه الناس يدعون ويشنون ، ويصاون عليه قبل ان يرفع
وانا فيهم . فلم يرعني الا برجل قد اخذ بمنكبي من ورائي فالتفت اليه ، فاذا
هو عليّ ، فترحم على عمر ، وقال : ما خافت احداً احبّ اليّ ان القى الله بمثل
عمله منك . وايم الله ! إني كنت لأظن ان يجعلك الله مع صاحبيك . وذاك اني
كنت اكثر اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : جئت انا وابو بكر وعمر
ودخلت انا وابو بكر وعمر ، وخرجت انا وابو بكر وعمر . فإني كنت لأرجو
او لأظن ان يجعلك الله معهما .

هذه الأحاديث الكريمة ترينا صلة الرسول الكريم بصاحبيه في الدنيا ، وهم
يزيدون على هذا بأن يقولوا : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر
وعمر ، فقال : هكذا نُبِعَتْ (٤) » .

١- مقالنا بهذا العنوان في العدد السابق من هذه المجلة .

٢- صحيح مسلم بشرح النووي ، طبعة المطبعة المصرية ؛ ١٥٦/١٥ - ١٥٧ .

٣- صحيح مسلم بشرح النووي ، طبعة المطبعة المصرية ؛ ١٥٨/١٥ .

٤- البيان والتبيين - للجاحظ : ١٧٧/٢ .

هذه منزلة عمر منه صلى الله عليه وسلم. اما عمر فقد آمن واحب الرسول الكريم حب ايمان واعجاب ، وكان يستصغر نفسه حين ينظر الى عظمته صلاوات الله عليه . شهد بدرًا وأحدًا والحنديق والمشاهد كلها (١) معه . وكان للمسلمين في أحد وفي غيرها من المشاهد ساعات حرج ، زلزلوا بها ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنون (٢) . ولا شك ان ساعات الحرج هذه تكون افعال في تصفية النفوس ، وافعل في تقاربها والتصاقها ببعضها . وكان للرسول الكريم ، وهو رئيسهم وقائدهم ، مواقف من الجِد والثبات جعلت نفوس اصحابه ، ولا سيما المقربين منهم اليه ، تمتلئ به اعجاباً واكباراً ، وتتفانى في الذود عنه ، ومن هؤلاء كان عمر .

وكان الرسول الكريم يلتفت اليه مرة بالكلمة الطيبة ، فيظل عمر يذكرها حياته ، ولا يرى الدنيا بأسرها تعدُّها عنده . . . قال له صلى الله عليه وسلم وقد استأذنه عمر بالعمرة ، فأذن له : (٣) « يا اخي لاتنسنا من دعائك ! » فظل عمر يذكرها ويقول : (٤) « ما احب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس ! لقوله : يا اخي » وفي حرب بدر يقول له الرسول الكريم : « يا ابا حفص ! اما تسمع الى قول ابي حذيفة ؟ » (٥) « ويظل عمر يذكر ذلك اليوم وكأنه يؤرخه بكنية الرسول الكريم له ! يقول : (٦) « والله ! إنه لأول يوم كناني فيه رسول لله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص » .

وتوفي الرسول الكريم وعمر حاضر فأخذه الهلّع ، حتى كاد يفقد صوابه . قال ابن الأثير « ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر بمنزله

١- صفوة الصفوة ؛ لابن الجوزي : ١٠٥/١ .

٢- انظر تفسير الكشاف للزمخشري ؛ سورة الأحزاب الآيات : من (١٠ - ٢٨)

٣- الشيخان ؛ لطف حسين . وفي سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي مع هذه الرواية ، رواية : « فقال :

يا أخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا » ص : ٢١ .

٤- ابن الجوزي ؛ ص : ٢١ .

٥- ابو حفص اي ابو الأسد (ابن الجوزي ص : ٦) .

٦- الأغاني ؛ ١٩٥/٤ .

بالسنح (١) وعمر حاضر ، فقام عمر فقال : « ان رجلاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفي . وإنه - والله - مامات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى ابن عمران . والله ليرجعنَّ (٢) . . . »

وجاء ابو بكر وعمر يكتلم الناس فأمره بالسكوت ، ثم تلا هذه الآية : (٣) « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم . . . » قال عمر : فوالله ما هو إلا ان سمعتها ، فعقرت حتى وقعت على الأرض ، ماتحملي رجلاي ، وقد علمت ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات .

وخلفه ابو بكر ، ثم كان عمر خليفة فسار سيرة صاحبيه في طعامه ولباسه . قالوا : (٤) « ودخل ناس على حفصة بنت عمر فقالوا : ان امير المؤمنين قد بدا علباء رقبته من الهزال ، فلو كلمته ان يأكل طعاماً هو الين من طعامه ويلبس ثياباً الين من ثيابه ، فقد رأينا ازاره مرقعاً ! » وكلمته حفصة في هذا وقالت : « قد وسّع الله الرزق واكثر من الخير . . . » فقال عمر : « سأخاصمك الى نفسك . اما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى من العيش ! . . . وما زال يذكّرها حتى ابكاها .

وتظل صورة الرسول الكريم مثله الأعلى في كل شيء . وفي البيان (٥) : « . . . عن هشام بن عروة ، قال : سمع عمر بن الخطاب - رحمه الله - رجلاً ينشد

متى تأتته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نارٍ عندها خير موقد
فقال عمر : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم »
ويظل عمر يذكر الرسول الكريم ، ويجعل كل ما كان متصلاً به ، صلوات

١- السنح : موضع قرب المدينة ، كان به مسكن ابي بكر - رضي الله تعالى عنه - ومنه خبيب بن عبد الرحمن السنحي (القاموس المحيط)

٢- الكامل : ٢١٩/٢ .

٣- الآية : ١٤٤ من سورة « آل عمران » .

٤- ابن الجوزي ؛ ص : ١٢٧

٥- البيان والتبيين - للجاحظ ٢٩/٢٤

الله عليه ، مقدماً على كل شيء عنده . كان في بعض ايامه ينتظر (١) الحسين بن علي - رضى الله عنهما - فذهب اليه الحسين ، فلقي عبد الله بن عمر في الطريق فسأله : من اين جئت ؟ قال : استأذنت على عمر فلم يؤذن لي . فرجع الحسين ولم يذهب اليه . ثم لقيه عمر معاتباً ، وسأله : مامنعك يا حسين ان تأتيني ؟ قال : قد اتيتك ولكن اخبرني عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجعت . فعز ذلك على عمر ، وقال : « وانت عندي مثله ! ؟ » يريد ان الحسين اقرب الى نفسه من ابنه عبد الله بن عمر .

وفضّل اسامة بن زيد على اترابه في العطاء ، وفرض له اربعة آلاف ، فكلّمه في ذلك ابنه عبد الله ، وقال : فرضت لي ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد اربعة آلاف (٢) فقال عمر : « فضّلته لأنه كان احبّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، ولأن اباه كان احبّ الى رسول الله من ابيك . »

وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف (٣) ، لكل منهما ، لمكانهما من رسول صلى الله عليه وسلم .

وفرض لعمر بن (٤) ابي سلمة اربعة آلاف ، فقال له محمد بن عبد الله بن جحش : لم تفضّل ابن ابي سلمة علينا ، وقد هاجر آباؤنا وشهدوا المشاهد ؟ قال عمر : « افضّلته لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فليأت الذي يستعيب بامّ مثل امّ سلمة اعتبه . . . »

وسار هذه السيرة في تقسيم العطاء فبدأ ببني هاشم ؛ رهط النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ببني تيم رهط ابي بكر ، ثم ببني عدي رهطه . ورأى ان يرتب هؤلاء في عطائهم على قرابتهم من النبي . وكلمه بعض رهطه من بني عدي في هذا ، فلم يلتفت اليهم (٥) .

١- سيرة عمر بن الخطاب - لابن الجوزي ؛ ص : ١٦٤ . واخبار عمر ص : ٤٠٦ .

٢- الشيخان - لطفه حسين ؛ ص : ١٨٥ ، وابن سعد ١/٢١٤ .

٣- الخراج لأبي يوسف ص : ٥١ . وابن سعد ١ : ٢١٥ . -

٤- اخبار عمر ، لعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ؛ ص : ١٢٧ . وابن سعد : ٢١٤ .

٥- ابن سعد ؛ ١/٢١٢ ، وفتوح البلدان : ٤٣٦ واخبار عمر ؛ ص : ٢٢١ .

وصلة عمر بأبي بكر تأتي بعد صلته بالرسول الكريم . آخى (١) الرسول
عمر بينهما في الإسلام ، وكان يكبره ابو بكر بالسن ، فكان عمر
وابو بكر ينظر اليه نظرة الأخ الصغير لأخيه الكبير ! يحبه ويحترمه ويأتمر بأمره
ويراه افضل منه . لج عمر في امر خالد بن الوليد لظنه انه قتل مالك

ابن نويرة ظلماً وتزوج امرأته . وحين صاح به ابو بكر : (٢) « هيه يا عمر
تأول خالد فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . فإني لاشيم سيفاً سله الله على
الكافرين » . سكت عمر ولم يراجع ابا بكر في هذا . ويظهر انه سكت طاعة
واحتراماً وحباً لأبي بكر ؛ لأنه حين استخلف كان من اوائل اعماله عزل خالد .

وحين مرض ابو بكر مرض الموت ، قال لعمر (٣) : « اسمع يا عمر ما اقول
لك ، ثم اعمل به . إني لأرجو ان اموت في يومي هذا ، فإذا مت ، فلا تمسين
حتى تندب الناس مع المثني » فتراه في عبارته هذه يخاطب عمر خطاب الأخ
الكبير لأخيه الصغير ؛ يقول : اسمع . . . ثم اعمل به .

وسمع عمر قول ابي بكر وعمل به ، وظل يرى فيه مثله الأعلى بعد الرسول
الكريم ، وكان يقرنهما معاً ، ويسميتهما صاحبي . وكانت نفسه تشتهي الطعام
اللين فيذودها عنه ، ويزهدّها فيه ، ويعاتب في هذا ، فيقول : « ولكن (٤)
صاحبتي سلكا طريقاً فأخاف ان اخالفهما فيخالف بي » وتعاتبه ابنته حفصة في
هذا ، فيقول لها : « وأنا مثلي ومثل صاحبي كثلاثة نفر سلكوا طريقاً ، فمضى
الأول وقد تزود زاداً فبلغ . ثم تبعه الآخر ، فسلك طريقه فأفضى اليه . ثم اتبعهما
الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما ، وكان معهما ، وان سلك
غير طريقهما لم يجامعهما ابداً (٤) . . . » فأنت تراه احبهما في حياته ،

١- ابن الجوزي ؛ ص : ١٦-١٧ .

٢- الأغاني : ٣٠٣/١٥ . والشيخان ؛ ص : ٧٨ .

٣- ابن الأثير ؛ ٢٨٦/٢ .

٤- ابن الجوزي ؛ ص : ١٢٧ .

٥- ابن الجوزي ؛ ص : ١٢٤ .

وما كان يرجو ويريد غير ان يكون رفيقهما بعد مماته . وحسبك من رغبته في هذا ان توسل الى عائشة ، وهو يجود بنفسه ، ان تسمح له بأن يدفن معهما في بيتها .

وكان يطريه المطرون في عدله واستقامته ، فيعز عليه ان يراهم ، يقدمونه على صاحبه واخيه ابي بكر . عن جبير بن نفير : ان نفرأ قالوا لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : والله مارأينا رجلاً اقضى بالقسط ، ولا اقول للحق ، ولا اشد على المنافقين منك يا امير المؤمنين ! فأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عوف بن مالك : كذبتهم والله ! لقد رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : من هو ؟ قال ابو بكر رضى الله عنه . قال عمر : صدق عوف وكذبتهم . والله ! لقد كان ابو بكر اطيب من ريح (١) المسك ، وانا اضل من بعير اهلى . يعني قبل ان اسلم ؛ لأن ابا بكر اسلم قبله بست سنين . (٢)

ووفد عمر بن براقه عليه ، وهو شاعر همدان ، وكان شيخاً كبيراً ، فأنشد عمر رجلاً :

ما إن رأيت كفتى الخطّاب
ابرّ بالدين وبالأحساب
بعد النبيّ صاحب الكتاب

فقطعنه عمر بالسوط في ظهره ، وقال : ويلك واين الصديق ؟ قال : مالي بأمره علم يا امير المؤمنين ! قال : اما انك لو كنت عالماً ، ثم قلت هذا ، لأوجعت ظهرك (٣) .

١- انظر مقالنا السابق بهذا العنوان في هذه المجلة ؛ وفيه الحديث عن : « عمر والطيب » .

٢- ابن الجوزي ؛ ص : ١٢٩ .

٣- الاصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر ؛ ١١٥/٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ١١٣/٣ واخبار عمر ، لعلي الطنطاوي ، وناجي الطنطاوي ص : ٤٩٤ .

عمر وسيرة عمر كلها ترينا انها بعد اسلامه ، كانت مزيجاً من المحبة والعطف في كرهه والرحمة والعدل . وان العنف والقسوة لا يجدان طريقهما الى نفسه الا حين يرى الأخذ بهما واجباً لردع الباطل ، ودفع الجور واحقاق الحق . ولا تكاد تقرأ في سيرته واخباره كلها انه قدم انساناً ، او اهتمّ بأمر لمصلحة شخصية قد تعود عليه او على ذويه بالخير . و كان يرحمه الله مثالياً في هذا .

وتقرأ سيرته كلها ، فيبدو لك انه كره رجلين اثنين كرهاً عظيماً ، احدهما ابو مریم (١) الحنفي ؛ ذلك المرتد الذي تابع مسيلمة وحارب في صفوفه ، وقتل اخا عمر ، زيد بن الخطاب في حروب الردة باليمامة . والآخر : خالد بن الوليد ؛ ذلك القائد البطل الموفق المظفر في حروبه .

اما ابو مریم الحنفي هذا ، فيقول الرواة إن عمر لقيه ، فقال له : « لانا (٢) اشدّ لك بغضاً من الأرض للدم » وقال له : « لا يحبك قلبي ابداً ، حتى تحبّ الأرض الدم المسفوح » ويسمع ابو مریم هذا ، وهو يعرف ما يعرف من سيرة عمر وعدله ، ويدري انه اسلم بعد حروب الردة في اليمامة ، وحسن اسلامه ، فيقول لعمر (٣) : « افتمنني لذلك حقاً ؟! » ويقول عمر : « لا . » فيقول ابو مریم : « لاضير ، انما يأسف على الحبّ النساء » .

هذا هو عمر في كرهه إنه يكره الرجل كره الأرض للدم المسفوح ، ومع ذلك لا يستجيز لنفسه ان يمنعه حقاً .

اما خالد بن الوليد فقد اختلف عمر في امره مع صاحبه ابي بكر ، ولا عجب ان يختلفا في شخصية خالد . وخالد ابو سليمان يقول عن نفسه (٤) : « فوالله !

١- ابو مریم الحنفي : اسلم بعد الردة ، وحسن اسلامه ، وكان قاضياً في البصرة بعد ذلك . الحيوان للجاحظ ؛ ١٣٦/٣ . واخبار عمر - ؛ ص : ٤٧٧ .

٢- الحيوان - ١٣٦/٣ ، وحاشية عيون الاخبار ؛ ١٣/٣ والبيان والتبيين ؛ ٣٧٦/١ .

٣- الحيوان : ٢٠١/٤ .

٤- صفوة الصفوة ؛ ٢٧٠/١ .

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يوم اسلمت ، يعدل بي احداً من اصحابه فيما يحزبه « وحُقَّ له ان يقول هذا ، فهو الذي حمل لواء المسلمين يوم « مؤته » (١) بعد ان قتل الأمراء ، وحمل بأصحابه ففض جموع المشركين . ورووا عن الرسول فيه : « خالد سيف من سيوف الله » و « نعم فتى العشيرة خالد » وبعثه الرسول الكريم في سرايا ، وخرج معه في غزاة الفتح وفي حنين وتبوك . علي انه مع هذا كله ، كان قاسياً مسرفاً في القسوة في اعدائه ؛ ففي فتح مكة اسرف في القتل حتى بعث النبي من كفته عن القتل . قالوا : ورفع النبي صلوات الله عليه يديه الى السماء ، وهو يقول (٢) : « اللهم ! اني ابرأ اليك مما فعل خالد » .

هذه شخصية خالد ؛ لها جانبان يبلغ احدهما النهاية في الحزم والشجاعة ، ويبلغ الآخر النهاية في القسوة والعنف . ولاعجب ان يُرضى عن احدهما غاية الرضا ، وان يُسخط على الآخر غاية السخط .

وارتد المرتدّون عن الاسلام ، واسرع ابو بكر فارسل خالداً ، وهو عنده رجل الحرب وابرع القواد ، حتى روي عنه بعد ذلك وقد وجهه لحرب الروم ، قوله (٣) : « والله لأنسيّن الروم وساوس الشيطان بخالد » نقول : اسرع ابو بكر فوجهه لحرب المرتدين ، ففضّ خالد جموع طليحة وهزمه ورد اتباعه الى الاسلام . ثم عمد الى مالك بن نويرة والى قومه بني يربوع . وحين لم يجد جمعاً منهم يتصدى لقتاله ، بث سراياه ليروا إن كانوا يؤذّون فيتركونهم عملاً بوصية ابي بكر —رضى الله عنه . ويروي الرواة ان السرية التي جاءت بمالك وبعض اصحابه اشهد بعضها بأن القوم لم يؤذّنوا ، وقال آخرون ، ومنهم ابو قتادة (٤) الأنصاري

١- صفوة الصفوة ؛ ٢٧٠/١ .

٢- الشيخان ؛ ص : ٧٦ .

٣- الشيخان ؛ ص : ١٠٤ .

٤- ابن الأثير ؛ ٢٤٠/٢ .

وهو صحابي جليل ، بأن القوم قد أذّنوا وأمر خالد بحبس مالك وأصحابه وكانت الليلة تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : (٢) « دافئوا أسراكم » قالوا : « ففهم بعض الموكلين بهم ان هذا امرٌ بقتلهم ؛ لأن معناها في لغة كنانة القتل . » هذه رواية يبدو عليها الضعف . ورواية اخرى ، ولعلها اولى بالتصديق ، وهي ان خالداً حاور مالك بن نويرة ، فقال مالك : « إن صاحبكم — يعني النبي — يقول كذا وكذا ... » فقال له خالد : « أو ليس هولك بصاحب ؟! » ثم امر بقتله فقتل . وتزوج خالد امرأته ام تميم ، بعد ذلك . وحاورة ابو قتادة الأنصاري ، في فعله هذا ، ثم ترك خالداً وجيشه ، وعاد فحدث الصحابة الكرام ، ومنهم عمر ، بحديثه وطلب عمر من ابي بكر عزل خالد ، وقال له (٢) : « إن في سيف خالد رهفاً فاعزله . »

واستدعى ابو بكر خالداً فحدثه خالد بنجر مالك ، فعذره ابو بكر ، وعفنه في تزوج امرأته (٣) . «

قالوا : ودخل خالد المسجد ، وعليه قباء عليه صدأ الحديد ، وقد غرز في عمامته اسهماً ، فقام اليه عمر فنزعها وحطمها ، وقال له (٤) : « أرئاء ! قتلت امرءاً مسلماً ، ثم نزوت على امرأته ؟! والله لأرجمنك باحجارك ! » .

هذه قصة خالد في عهد ابي بكر . وتوفي ابو بكر ، وخلفه عمر (٥) ، قال ابن الأثير : « وكان اول كتاب كتبه الى ابي عبيدة ابن الجراح بتوليته جند خالد ، وبغزل خالد » وقال : « لأنه كان عليه ساخطاً في خلافة ابي بكر كلتها ، لوقعته بابن نويرة ، وما كان يعمل في حربه » وقال : — قال عمر — : « لا يلي لي عملاً ابداً ... » (٦) وظل خالد بعد عزله ، يحارب ، ثم رابط بجمص ، حتى اذا مرض المرض الذي يوصى فيه ، قال (٧) : « دارى بالمدينة صدقة . قد كنت اشهدت عليها عمر بن

١- الأغاني : ٢٩٨/١٥ . وابن الأثير : ٢٤٢/٢ .

٢- ابن الأثير : ٢٤٢/٢ ، والأغاني ٣٠٣/١٥ .

٣- الأغاني : ٣٠٣/١٥ ، والشيخان : ص ٧٤ ؛

٤- الأغاني : ٢٩٨/١٥ .

٥- ابن الأثير : ٢٤٢/٢ .

٦- ابن الأثير : ٢٩٣/٢ .

٧- صفوة الصفوة : ٢٧٠/١ .

الخطاب ، ونعم العون هو على الإسلام » قالوا : قال هذا لأبي الدرداء .
وهكذا ترى خالد بن الوليد ، لم يحمل في نفسه - بعد ان مضت الأمور الى
غاياتها - شيئاً على عمر ؛ لأنه لم ير عمر وقف منه موقفه هذا لأمر يتعلق بناحية
شخصية تعود الى عمر ، وانه ظلّ يراه : « نعم العون هو على الإسلام » .
وعمر لم يحقد على خالد . ويبدو انه شعر انه لم يكن له غير تنحيته من سبيل (١) ،
فبكاه في موته ، وفي الأغاني (٢) : « سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخزوم
يبكين على خالد بن الوليد ، فبكى ، وقال ليقُلْ نساء بني مخزوم في ابي سليمان
ماشئ فإِنَّهنَّ لا يكذبن . وعلى مثل ابي سليمان تبكي البواكي » .

١- قال عمر : « یرحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال مني » ابن الأثير ؛ في حوادث سنة ١٦ للهجرة
« والفاروق القائد » - للواء الركن محمود شيت خطاب ، ص : ٨١ .

٢- الأغاني ؛ ٩٣/٢٢ .

عمر والأدب

وكان عمر مزوداً بكل ما يتطلبه المرء لفهم الأدب وذوقه ؛ ثقافة عامة لحياة العرب في عصره ، ونفس مرهفة الحس ؛ يفيض احساسها مع الناس حين يفرحون وحين يحزنون . ثم هي بعد هذا ، يطربها الجمال ويستثيرها بشتى اشكاله صوره . ونعرض لهذا وهذا بشيء من البيان والتفصيل ، فنقول :

لعلّ أول اسباب الثقافة في عصر عمر ان يكون المرء محيطاً بأخبار الناس وانسابهم . وكذلك كان عمر ، . قال الجاحظ ، في البيان (١) : « وكان ابو بكر رحمه الله انساب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم » وقال : (٢) « . . . وثلاثة في نسق واحد كانوا اصحاب نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، اخذ ذلك عن الخطاب . . . والخطاب بن نُفَيْل ، ونُفَيْل بن عبد العُزَيّ » فأنت ترى عمر — كما يقول الجاحظ — في اسرة تواترت المعرفة بالأنساب . وكان عمر يرى في هذا ثقافة وفضلاً ، وهو يقول ؛ « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد ، اذا سئل احدهم عن أهله ، قال : من قرية كذا » .

وكان الى معرفته بالنسب يحب طرائف الأخبار . وكان كثيراً ما ينقل الأخبار برواية عن أبيه ، ويقول (٣) : « سمعت ذلك من الخطاب ، ولم اسمع ذلك من الخطاب » وعلى هذا فهو قد نشأ في بيت يحب طرائف الأخبار ايضاً . ومن وصايا ه في هذا (٤) : « عليكم بطرائف الأخبار فإنها من علم الملوك والسادة ، وبها تنال المنزلة والحظوة عندهم »

١- البيان والتبيين ؛ ٣١٨/١ .

٢- البيان والتبيين ٣٠٤/١ .

٣- البيان والتبيين ٣٠٤/١ .

٤- العقد — عبقرية عمر ؛ ص ٢٩١ .

وكان ملماً بمعرفة الأمثال ، وهو يوصي بحفظها ، وحفظ ما حسن من الشعر .
ومن وصاياه في هذا : (١) « علموا اولادكم السباحة والفروسية ، ورووهم ما سار
من المثل وحسن من الشعر » .

ووراء هذا كله ، كان واحداً من قلائل يعرفون الكتابة في قريش .
يقول صاحب العقد الفريد (٢) : « وجاء الاسلام وليس احد يكتب في العربية
غير سبعة عشر انساناً ، وهم : علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن
الخطّاب ، و . . . »

وكان قبل ان يسلم يحب الشعر : يحفظه ويحدو ويتغنى به ، وقد مر بنا
انه استمع — بعد ان اسلم وصار خليفة — الى النابغة الجعدي ، ينشده قصيدة له ،
فبين عمر : أنه طالما تغنى بها — وهو لا يعرفها للنابغة — خلف جمال الخطّاب (٣)
وبعد ان اسلم طبعه الاسلام بطابعه ، فصار من اعرف الصحابة الكرام ،
وافقههم في القرآن والشريعة الاسلامية . وحسبنا من هذا ان يقول ابن مسعود
، رضي الله عنه (٤) : « كان عمر اعلمنا بكتاب الله ، وافقهنا في دين الله »
وروا عنه انه اذا اختلف مع احد في قراءة آية من الكتاب ، قال له : « اقرأها كما
قرأها عمر (٥) » ويروون عن ابن سيرين (٦) انه قال : « اذا رأيت الرجل يزعم انه
اعلم من عمر فشك في دينه » يريد بهذا ان يعبر عن سعة علم عمر في امور
الدين .

وكان يحرص على العربية لأنها الأداة في فهم الكتاب وفقه الدين . قال
الجاحظ (٧) : « قال عمر رضي الله عنه : تعلموا النحو ، كما تعلمون السنن

١- العقد - عبقرية عمر ص ٣٠١ . والبيان والتبيين ؛ ١٨٠/٢ .

٢- العقد الفريد ؛ ١٥٧/٤ .

٣- العقد الفريد ؛ ٩/٦ .

٤- تاريخ الخلفاء للسيوطي ؛ ص : ٤٧ .

٥- ابن سعد ؛ ٢٧٠/١ .

٦- ابن سيرين : كان معاصراً للحسن البصري . وهو واحد من الطبقة الثانية من رواة الحديث . روى
عن ابي هريرة وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك وغيرهم . واستقر بالبصرة ، واشتهر بالورع والتقوى .
شهر بتعبير الرؤيا ، واليه تنسب رسائل في هذا .

٧- البيان والتبيين ؛ ٢١٩/٢ .

والفرائض « وقال الجاحظ ايضاً : « كتب الحُصَيْن بن ابي الحرّ - وكان غاملاً لعمر على ميسان - الى عمر كتاباً ، فلحن في حرف منه . فكتب اليه عمر : « أن قنّع كتابك سوطاً (١) » - اي اضربه سوطاً - للحنه في الكتاب .

وكان يوصي بتعلم العلم والحث عليه ، ويقول (٢) : « كونوا اوعية للكتاب وينابيع للعلم » يريد ان يحفظ الكتاب في الصدور .

وكان لاجساسه بالادب يسمع الكلام لا يعجبه ، فيصاحبه ويقوّمه ، وينهى عن القول به . قال الجاحظ في «باب ما يكره من الكلام» (٣) : « وجاء عن عمر . . . النهي عن قول القائل : استأثر الله بفلان . قال : بل يقال : مات فلان ، ويقال : استأثر الله بعلم الغيب . . . »

وهكذا ترى عمر مثقفاً بما يعين على فهم الأدب ، وتذوّقه من النواحي النظرية والنواحي العملية .

هذا فيما يتعلق بالثقافة لفهم الادب . ولا بد لذوقه من ناحية أخرى ، تكون مع الثقافة ولا نراها تقل أهمية عنها . وهي ان يكون المرء موهوباً بنفس حساسة ذواقة . وكذلك كان عمر . كان له من الحسّ "المرهف" ما يجعله يرى المنظر يشير الاسى ، فتتغير حاله من الضد الى الضد . وقد يكون هذا المنظر من الهوان على غيره بحيث يراه ، وكأنه لم يره .

وفي سيرة ابن هشام (٤) : « . . . عن عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن امه ام عبدالله . . . قالت : والله إنا لنترحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ ، وهو على شركه ، قالت : وكنا نلقى منه البلاء اذى لنا وشدة علينا ، قالت : فقال :

١- البيان والتبيين ؛ ٢/٢١٦ والخبر في اللسان ؛ مادة : « قنّع » ، حاشية البيان المشار اليها .

٢- البيان والتبيين ٢/٣٠٣ .

٣- الحيوان ؛ ١/٣٣٥ .

٤- سيرة ابن هشام - ط : محمد محي الدين عبدالحميد ؛ ١/٣٦٥ .

إنه الانطلاق يا أم عبدالله ، قالت : فقلت : نعم ، والله لنخرجنَّ في ارض الله .
آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجاً . قالت : فقال : صَحِّبِكُمُ اللهُ ،
ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم انصرف ، وقد أحزنه - فيما ارى - خروجنا ..
قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبدالله ! لو رأيت عمر
آنفاً ورقته وحزنه علينا ! قال : اطمعت في اسلامه ؟! قالت : قلت : نعم .
قال : فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطّاب . قالت : ياساً منه
لما كان يرى من غِلْظته وقسوته عن الاسلام .

وهكذا ترى عمر في حديث ام عبدالله هذا ، قد جمع الضدين ؛ تراه جبّاراً
قاسياً يلقي المسلمون البلاء والاذى منه ، حتى يتوهّم زوجها ابو عبد الله
ان حمار الخطّاب اقرب رجاء في الاسلام منه . وتراه هي وقد أحزنه موقفهم
يترحّلون قد أخذوا الحزن وبدأت عليه الرقة حتى طمعت هي في اسلامه . وهكذا
تراه سريع التأثر للمنظر يراه حتى لتتقلب حاله من الضدّ الضدّ .

وكان على ورعه - يحب ان يتزين ويظهر بالمظهر الحسن ؛ جاءته برود من
اليمن ففرقتها على الناس . وصعد المنبر وعليه حلّة - والحلة ثوبان - فقال :
ايها الناس ! الا تسمعون ؟! فقال سلمان : لا نسمع .

قال عمر : ولمَ يا أبا عبدالله ؟!

قال : إنك قسّمت علينا ثوباً وعليك حلّة

قال عمر : لا تعجل يا أبا عبدالله . ونادى ابنه عبدالله بن عمر وقال : الثوب الذي
اكثررت فيه هو ثوبك ؟

قال عبدالله : اللّهم نعم ، يا أمير المؤمنين

قال سلمان : الآن فقل نسمع (١)

وهكذا ترى عمر اعجبه ان يتزيّن وان يظهر على المنبر يخطب المسلمين بالمظهر
الحسن ، ولم تطب نفسه ان يستأثر بشيء من مال المسلمين يخصُّ به نفسه .

١- الرياض النضرة في مناقب العشرة - للمحب الطبري ، ٥٦/٢ وابن الجوزي ؛ ص ١٢٧ واخبار

عمر ، ص : ٢٠٤ .

دونهم ، فرأى ان يستعير برد ابنه عبد الله يلبسه ويتجمل به .
 وكان رحمه الله — يتختم باليسار ويخضب بالحناء والكتم (١) . ويستهو به جمال الألوان . ويظهر ان اللون الأخضر ، وهو اللون المحبب للعرب عامة ، ولون ثياب أهل الجنة ، قال تعالى : « (٢) عاليهم ثياب سندس خضر » هو اللون المحبب الى نفسه . قالوا : (٣) اصيب — رحمه الله — وعليه ازار اخضر . ويقول الجاحظ في البيان (٤) : « قيل للاوسية : اي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق خضر ، فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب بيت عدي بن زيد العبادي :

كدمى العاج في المحاريب ، وكال بيض في الروض زهره مستنير»
 وكان رحمه الله يقول (٥) : « لا تنكحوا المرأة الرجل الذميم القبيح ، فإنهن يحبين لانفسهن ما تحبون لأنفسكم »

وكما يعجب بالجمال تثيره الألوان والصور اللينة الناعمة ، كذلك كان يميل الى الصور توحى بالمهابة والقوة . كان يعجبه من الرجال الرجل الشجاع الضخم المهيب وفي الأغاني (٦) « ان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — نظر الى عمرو بن معد يكرب : فقال : « الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرواً . » تعجباً من عظم خلقه ويروي ابو الفرج ان عمرو بن معد يكرب هذا كان اعظم ما يكون من الرجال (٧) . « . . . وعن الشعبي ان عمر — رضي الله عنه — فرض لعمر بن معد يكرب الفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! الف ها هنا ، واوماً الى شق بطنه الأيمن ، والف ها هنا واوماً الى شق بطنه الأيسر ، فما يكون ها هنا ؟! واوماً الى وسطه . قال : فضحك عمر رضي الله عنه وزاده خمسمائة »

١- ابن الجوزي ؛ ص : ٧

والكتم ، محرّكة والكتمان بالضم : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر فيبقى لونه .
 (القاموس المحيط)

٢- الآية : ٢١ سورة : الإنسان

٣- ابن الجوزي ؛ ص : ٧ .

٤- البيان والتبيين ؛ ٤٥/١ .

٥- ابن الجوزي ، ص : ١٧١

٦- الأغاني ؛ ٢١٣/١٥ .

٧- الأغاني ، ٢١٤/١٥ .

وكانت نفسه الحساسة تستثار بمواقف الأسى ، وتستثار بمواقف الخشوع ، وتستثار بالذكريات . وقد يبكي لهذا وينبعث الدمع مدراً من عينيه ويضطرب جسمه ويحتاج . وكان هذا من صفاته الواضحة ، حتى عقد ابن الجوزي في حديثه عنه باباً (١) : « في ذكر بكائه » وبين انهم رويوا في صفته : ان في وجهه خطان اسودان مثل الشراك من كثرة انحدار الدمع في البكاء . قالوا : كان يطوف بالبيت ويأخذه الخشوع فيبكي (٢) . وانه زار ابا الدرداء فذكره بحديث حدثهم به الرسول الكريم ، فبكى عمر وبكى ابو الدرداء ابكائه ، وراحا يتجاوبان في البكاء ويقول ابن عباس - رضي الله عنه - : رأيت عمر رضوان الله عليه ينشج حتى اختلفت اضلاعه .

وكما كان يبكي للمنظر يراه او يتذكره ، كان يبكي للكلام الأدبي يسمعه أو يقرؤه ، كان يصلّي ويقرأ الآيات الكريمات تثير العاطفة فيتأثر بها ويبكي (٣) « . . . عن علقمة بن وقاص ، قال : كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة « يوسف » وانا في مؤخر الصفوف حتى اذا ذكر يوسف عليه السلام ، سمعت نشيجه (٤) . » و « . . . عن عبدالله بن شداد ، قال : سمعت عمر - رضوان الله عليه - يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه ، واني لفي آخر الصفوف ، وهو يقرأ : انما اشكو بثي وحزني الى الله . »

هذه حاله حين يقرأ القرآن . وهم يروون عنه ، تأثره وبكائه حين يسمع الشعر العاطفي المؤثر . وربما كان شعر الرثاء أكثر ما يثيره ويهيجه ، وسنلم بطرف من هذا في حديثنا عنه في حياته الأدبية .

وهكذا ترى عمر مزوداً كلّ ما يعين على فهم الأدب وذوقه ، ثقافة عامة واسعة لامور عصره ، وحساً مرهفاً لا تجده الا عند القليل من الناس .

يتبع

جميل سعيد

١- سيرة عمر بن الخطاب ، « الباب الحادي والخمسون » ص : ١٤٥ .

٢- في سيرة عمر بن الخطاب ص : ١٤٦ .

٣- ابن الجوزي ؛ ص : ١٤٥ .

٤- ابن الجوزي ص : ١٤٦ .